وإلى الخير محمد شرف الدين رئيس
الشؤون الدينية بانقره
ولقعده ١٣٦٤
٦

الكلام على المسائل الصقلية

لأبي محمّد عبد الحق ابن سبعين

عنى بتصحيحه وتعليق بعض الحواشي عليه

محمّد شرف الدين يالتقايا
احد المدرسين في كليّة استنبول

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslam Araştırmaları Merkezi

المطبعة الكاثوليكية. بيروت
١٩٦١

مقدمة

لا ريب في ان اصح الكتب واجملها التي تبتهج بها نفوس المطالعين وتنشرح الكتب المخطوطة بخط مؤلفيها او بخط من يشترك المؤلف في العلم. وقلما يوجد مثلها بين الكتب التي تملأ مكتبات الدنيا كما لا شك في ان النسخ التي تلاعبت عليها ايدى الناسخين اقبح الكتب واشوهها وان كانت في زينتها بالظاهر فهي بالحقيقة عذاب للناظرين وغصة للطالبين.

ربما يتشوق الانسان الى كتاب سمع اسمه من افواه الرجال او طالع بعض الفصول منه في كتاب تشوقه الى رؤية حبيب ويتعطش اليه تعطش الصديان الى الماء البارد وحين ما ظفر به يجده ملحاً اجاجاً لا يشفي الغليل ولا يبرئ العليل او يجد الكتاب مغلوطاً مع انه من الاهمية بمكان ومع ذلك ليس الامر بمحال لان النسخة الثانية او الثالثة من ذلك الكتاب تسد الخلل وتزيل العلل. ولكن الخطب الاجل والامر الذى لا يسهل ان يكون ذلك الكتاب فرداً وحيداً لا يوجد له في الدنيا ثان ولا دان ككتابنا هذا الذى نحن الآن بصدد طبعه ونشره وهو كتاب الكلام على المسائل الصقلية لصاحبه ابى محمد عبد الحق ابن سبعين رحمه الله تعالى ومنذ رأيت انه يذكره في كتابه الآخر المسمى بيد العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف[1] بقوله: «وقد خلصت على ما يجب في جواب صاحب صقلية فاعلمه من هناك...»[2] كان مما تعلقت به نفسي وتاقت اليه فكنت اسأل عنه الخبر فلا اجد عيناً ولا اثر حتى ورد به علينا زميلنا العزيز اوتّو پرتزل احد المدرسين في جامعة مونيخ اخذه بالظل الشمسي من مكتبة جامعة اوكسفورت من نسخته الوحيدة في العالم ولكن النسخة من سوء الحظ مع انها وحيدة في العالم حسبما نعلم في غاية السقامة... عباراتها ركيكة ضعيفة مع ما فيها من مخالفة القواعد العربية مما لا يساغ ومن سقوط بعض الحروف والكلمات والانقطاع في الكلام واعجام ما لا يعجم وترك الاعجام فيما يلزم وعدم الاطراد في شكل الكلمات وغير ذلك كما ترى. والمدرس الموما اليه اصلح بعض الكلمات الفاسدة وكتب الصحيح منها على هوامش الفطوغرافيا فله الفضل في ذلك والتقدم.

وبعد طول هذه الاعوام التي تمنيت فيها وصل هذه الغادة نالت يدى معصمها ولكن كما يرى المطالع بعد ما:

اكل الدهر عليها وشرب

ساقطة انيابها وضواحكها وقد نشرت العلل اجنحتها عليها... هذه حالة ضالتي

---

1) وله مفتاح يد العارف ونسخته الوحيدة في مكتبة امينية ببروسه

2) مكتبة سليمانية – بغدادلى وهبى افندى باستنبول عدد ٨٣٣؛ ورق ١٣٨ الوجه الاول

التى كنت انشدها والمنارة التى كنت اتفقدها فاخذت اجبر الوهن والوهى واقيم الاود واداوى السقم حسب طاقتى مذاكرًا مع شيخنا المرحوم فقيد العلم والادب اسماعيل صائب سنجر مدير المكتبة العمومية فى استنبول رحمه الله تعالى ومراجعًا مقالة آمارى المتعلقة بشان هذه المسائل الصقلية فى المجلد الاول من السلسلة الخامسة من المجلة الآسيائية الصادرة سنة ١٨٥٣ ومقالة مهرن فى المجلد الرابع عشر من السلسلة السابعة من هذه المجلة الصادرة سنة ١٨٧٩ المتعلقة بهذا الشان

واستنسخت نسخة لنفسى مع الاستفادة من تصحيحات زميلنا المذكور اطال الله بقاءه ثم ترجمتها الى لغتنا التركية وطبعناها سنة ١٩٣٤ فى استنبول فتمت ولله الحمد ترجمة هذا الكتاب اولًا بيدى وانتشرت كاملة بلغتنا قبل بقية اللغات واصلها العربى بقى على حاله فى زاوية الخمول كنا نتحين الفرصة لطبعها ونشرها حتى قيض الله تعالى لهذا الامر جمعًا من الفضلاء منهم العلامة لوئى ماسينيون والاستاذ ألبر جبرائيل مدير الانستتو الفرانساوى للاثار القديمة فى استنبول وصديقى العزيز الفاضل دكتور عبد الحق عدنان وموسيو هانرى كوربين من محافظى الكتب فى المكتبة الملية الباريسية فارادوا طبعه شكر الله مساعيهم الجميلة فى سبيل العلم والادب على نفقة المؤسسة المشار اليها فبدأت الامر بدأً ثانيًا وتركت الاغلاط الخطية والنحوية فى محالها فى المتن واثبت التصحيحات تحت الصحائف خارج المتن الا ما وضح منها وما تكرر واشار موسيو كوربين الى اوائل الصحائف واواخرها التى فى الاصل . . .

والتصحيحات التى ترونها تحت الصحائف هى غاية ما عندى فان رجحتم غيرها مما يحتمل المعنى او الخط فلكم ذلكم والحمد لله اولًا وآخرًا والصلوة والسلام على نبينا محمد ابدًا سرمدًا وعلى اخوانه من النبيّين والمرسلين وآل كل وصحب كل اجمعين آمين يا رب العالمين .

احد المدرسين فى جامعة استنبول

محمد شرف الدين

استنبول ٢٠ شوال سنة ١٣٥٩ المرافق ٢٠ تشرين ثانى سنة ١٩٤٠

[298b] بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين

قال الشيخ الامام الصدر امام الامة عَلَم الائمة قدوة الحرمين سيّدنا قطب الدين ابو محمد عبد الحق ابن سبعين نفع الله به واعاد من بركاته على المسلمين فى جواب مسايل ملك الروم الامبرطور صاحب صقلية لما وجه بها نسخاً الى المشرق ومصر والشام والعراق والدروب واليمن فرجعت اجوبة حكماء المسلمين بما لم يرضه فسأل عن افريقية ومن بها فقيل له انها عرية عن هذا الشان وسأل عن المغرب والاندلس فقيل له ان بها رجل يعرف بابن سبعين فكتب للخليفة الرشيد من اولاد عبد المؤمن فى امرها فكتب امير المؤمنين لعامله بسَبْتَة وهو ابن خَلاص ان ينظر فى الرجل المذكور ان يرد الجواب على الاسولة وكان ملك الروم قد وجه جفناً فيه رسوله وجملة مال فاستدعى ابن خَلاص الامام قطب الدين واوقفه على الاسولة بامر الخليفة فضحك رضى الله عنه والزم نفسه الجواب فدفع له ابن خلاص المال الذى جاء به رسول ملك الروم فردّه ولم يقبله وقال انما [ ] عنها احتساباً لله وانتصارًا للملّة الاسلامية ثم قرأ قوله تعالى قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَى. ([٢١] ٢٢:٤٢) وجاوبه فلما بلغ الجواب للملك أرضاه ووجّه بصلةٍ عظيمةٍ فردت عليه كالاولى وعرف النصرانى قصور نفسه ونصر الله الاسلام واظهره على الملة النصرانية بالبراهين القطعية والحمد لله رب العالمين

الجواب على الاسولة المذكورة

وبالله التوفيق

[299a] سألتَ ايها الزعيم المتودّد الباحث المسترشد وفقك الله للخير وهياك لقبوله واراك طريق الحق بنوره ونقلك من اعتقاد الظن الواجب

١٢) بين انما وعنها كلمة مطموسة لعلها اجيب

ورزقك الفرق بين الصحيح والكاذب عن مسايل تنازع فيها البناء كل عصر واحبار كل زمان ودهر وكل تكلم فيها بما سنح له وفُتِحَ عليه من العلم بكلام مطلق جملى قليل التناسب محتمل الدلالة والمسترشد يتحفظ من الالفاظ الغلطية ويتحرز من الاسم المشترك والاسم المشكك الا بتنبيهٍ وتقييدٍ وكذلك يجب عليه ان يحذر المعانى المغلطة التى يقال بالفرض وهى التى يقارن الشيء لان الفايدة تحصل له ببرهان سوفسطائى او يقع الجواب بخلاف المسئلة والكلام الجملى لا يعقل معناه من لفظه دون ان يتصفح او يرد عليه ما يفسّره مثال ذلك الفخار اذا سأله السايل وهو يريد ان يبتاعه قدرًا فيقول له المبتاع اعطنى اناء مطلقاً فقد يوافق القدر أو لا يوافق فان استفهمه الفخار ويقول له اى اناء تريد فيقول له قِدْرًا اعطى مراده وذلك إما وقعت الدلالة مفصلة وأخذ المعنى لفظه الخاصّ به فلا يجب ان يسأل فى مسئلةٍ مطلقةً ولا يجاوب بجواب مطلق وأنت قلتَ الحكيم يفصح فى جميع اقاويله بقِدَم العالم ولا شكّ انه رأيه الا انه ان كان قد برهن عليه وما برهانه وان لم يبرهن فمن اىّ قبيل هو كلامه فيه هذا نصّ كلامك فقولك فى جميع اقاويله ليس بصادقٍ فان الرجل تكلّم فى جملة علوم ولم يتعرض فيها لقِدَم العالم ولا ذكره بوجهٍ وهذا ظاهر جلىّ والكتب التى تكلّم فيها واظهر اعتقاده وصرّح بالقدم فيها معلومة معدودة ثم لفظ القدم قد تأوله بعض الناس عليه بل جماعة من اتباعه المتأخرين ومن كان يقرب منه والقدم يطلق باشتراك كما نبيّن فيما بعد الطبيعة ونذكره انالك بعدئذٍ بحول الله تعالى [299[b]] واما قولك ولا شكّ انه رأيه فهذا يدلّ على انّك وقفتَ على برهان عليه والا بما صحّ عندك القضاء عليه بهذا الاعتقاد وان كان لم يَصِحّ عندك وتريد ان تعرفه فاسئل بالمطلب الذى نرسمه لك بعد هذا بحول الله وان كنت فى استفهامك مختبرًا فسلْ سؤالًا صناعياً وقولك وان لم يبرهن

٨) الفخار : الفاخوري
١٩) بعد انالك كلمة بعدئذٍ مطموسة

فمن اىّ قبيل هو كلامه فيه خلط عليك ان تكون مستفهماً او مسترشدًا او مختبرًا والذى يجب ان تقول اعتقاد الحكيم فى العالم ما هو هل يرا انه قديم أو يرا انه محدث أو هو شاكّ فيه مثل جالينوس وغيره من القدماء فان كان يرا انه قديم فما دليله وبرهانه على ذلك وان كان يرا انه محدث فما دليله وبرهانه على ذلك وان كان هو شاكّ وتعارضت الادلة عليه ولم يترجّح بعضها على بعضٍ ولا كان لأحدهما مزية على الآخر فما تلك الادلة المتعارضة. ثم تقول الحكيم ان كان لم يذهب فى قدم العالم لا لدليل ولا لبرهان ولا تعرّض لشيءٍ من ذلك فما هو كلامه هل هو محير أو سوفسطائى أو خطابى أو شعرى أو شَوَّق ونَبَّهَ وذكّر وكتم الحق ورمزه أو هو جزئى أو كلّى او صناعى أو غير صناعى وغير ذلك من التوجيهات

فصل وفقك الله تعالى للاسلام لما علمتُ انك مسترشد ذكرتُ لك جميع هذا كله لتعلم طريق الاستفهام وحينئذٍ اذكر لك المسئلة وبالله التوفيق ولا يطول عليك من حيث انك مسترشد فان ما اذكره لك مما يصلح بك والمقصود بذلك كلّه تحصيل المطلوب

فصل تحتاج ان تعلم العالم والقدم والحدوث والابداع والخلق وبمعرفتها يتبين لك الحق كما نفصل لك بعد معرفة الله الوتر المحض تعالى وتقدّس ولما كانت هذه تطلق باشتراك الاسم تأوّلها عليه طائفة من المتقدمين والمتأخرين غفر الله لجميعهم ووقع الخلاف فى اعتقادهم فى كلامه واطلاقاته فنقول العالم يطلق [300[a]] على انحاءٍ ويرسم برسوم شتّى فتارةً يترادف وتارةً يتباين فاجماع المتكلّمين اعنى الأشعريّة ما يطلقون لفظ العالم ولا يريدون به الا الاجسام وصفات الاجسام والجواهر والاعراض ولا يقولون بالجواهر الروحانية ولا بالصور المجردة ولا يطلقون الجواهر الا باطلاق واحد ورسمه عندهم انه المتحيّز وهو الذى لـه حجم وهو قائم بنفسه من حيث هو محل الاعراض الجسمانية ومنهم من يقول العالم ما سِوَى الله تعالى وصفات ذاته العلية والذى يقول هذا منهم يخرج من مذهبه بالزام يطول ذكره والقدماء يطلقونه على انحاء لا يليق الكلام بنا فيها على التمام هنا فمنهم من قال العالم جميع ما يحويه

الفلك ومنهم من قال العالم الجوهر ولواحقه فقسمه الى مفارقٍ وغير مفارقٍ وقسم المفارق الى اربعة العقل والنفس والهيولى الاولى والصورة المجرّدة وقسم الغير مفارق الى فلكى والى طبيعى وقسم الفلكى الى تسعة وقسم الطبيعى الى بسيط والى مركّب وقسم البسيط الى اربعة اقسام وهو النار والهواء والماء والارض وقسم المركّب الى ثلاثةٍ وهى المولدات الحيوان والنبات والمعدن وقسم الحيوان الى ثلاثة الى ما يبيض ويتكون ويلد وقسم النبات الى ثلاثة الى ما يقوم على ساق والى ما يزرع والى ما ينجم وقسم المعدن الى اربعة الى ما يحترق ولا يذوب والى ما يذوب ويحترق كالكبريت والى ما يذوب ولا يحترق كالفضة والى ما لا يذوب ولا يحترق كالصخر وبحسب ما يعطى كلامهم فى تقسيم الجوهر النامى وغير النامى بصناعة التحليل وكذلك الاعراض منها روحانية ومنها جسمانية فالروحانية كالعلم والحلم والكرم لا يكون ذلك الا فى النفس الناطقه والجسمانية كاللون والرايحة والطعوم وغير ذلك ومن القدماء من انكر ذلك وقال لا سبيل الى ان تدخل الجواهر الروحانية فى العالم بان ذلك باطل من اجل [300b] المفارقة التى فيها ولهم فى ذلك كلام كثير وبالجملة العالم كل جملة متجانسة كقولهم عالم العقل وعالم النفس وعالم الطبيعة ومثل ما تقول الصوفية رضى الله عنهم عالم الغيب وعالم الشهادة وعالم الجبروت وعالم الملكوت والكلام فى ذلك يخرجنا عما كنا بسبيله

فصل فنقول وبالله التوفيق اذ قد تبين ما هو المراد بلفظ العالم وما هو العالم وحصل المعنى المقصود منه وجب علينا ان نعلم القِدَم فانه جزء من اجزاء المسئلة فنقول القدم ينقسم الى قِدَمٍ بغايةٍ وقدم بلا غايةٍ فالقدم الذى له غاية يقال بالقياس لكل شيءٍ هو زمانه فى الماضى اكثر من شيءٍ آخر هو قديم بالقياس اليه واما القدم الذى لا بغاية فهو المطلق وينقسم قسمين منه ما يقال بحسب الزمان ومنه ما يقال بحسب الذات فالذى بحسب الزمان هو الشيء الذى وجد فى زمانٍ ماضٍ ولا يعدم وهو غير متناهٍ والقدم الذى

٣) مفارق : المفارق

بالذات هو الشيء الذى ليس لوجود ذاته سبب والقديم بالزمان هو الذى له مبدأ زمانى والقديم بحسب الذات هو الذى ليس له مبدأ يعلوه وهو الواحد الوتر الحق تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا فهذا ما وقع الخلاف فيه ومنه وقع الاحتمال فى كلام الرجل حتى يتفصل بعد هذا فافهم المراد منه

فصل والقديم حقيقة هو الذى لم يكن معدوماً ولا مفتقرًا ولم يكن لوجوده سبب ولا شيء آخر لا بالفعل ولا بالقوة كما هو حد العلّة غير ان العلّة تستدعى المضاف بشكل اللفظ والقديم يستدعى الوحدة بالدلالة واللفظ

فصل والاحداث يطلق على انحاء منها الاحداث الزمانى هو ايجاد الشيء بعد ان لم يكن له وجود فى زمانٍ سابقٍ والاحداث الغير زمانى هو افادة الشيء وجودًا وليس له فى ذاته ذلك الوجود واحداث ما بين العقل والمعقول الكلّى بخلع الصور الروحانية [301a] الداخلة تحت الكلّ والكلّى فان الكل يطلق على ذات المبدع الاول والكلى يطلق على كثيرين من النفوس الجزئية والبسيطة والحدوث الوهمى بوضع قوى النفس فى اختراع الصور لا يضاف الى زمان من اجل ما يعود على لواحق النفس ولا يجعل فى خارج الموضوع فهو باطل ووجب علينا عند ذكر الحدوث ان نذكر الخلق والابداع

فصل فنقول الخلق والابداع اسم مشترك فيقال خلق لافادة وجود كيف كان ويقال خلق لافادة وجود حاصل عن مادة وصورة كما قال تبارك وتعالى « خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ ([١٤] ١٣ : ٥٥) » وهذا الخلق يقال الابداع الهيئة وان مما لم تكن بالفعل تتقدّم المادة والصورة فى الوجود على ما يزعم الحكيم والكلام فى اثبات ذلك قد كفيناه وقد تبين الحق فيه والخلق اسم لغة لجنس يحوى جملة تسمى تلك الجملة مما يسرى لها من الخالق والخلق يطلق على الشيء الذى تقدّمه وجود بالفعل ثم اخرجه الوجود

٩) الغيرزماني : الغيرالزمانى — ٢٠) الابداع : لابداع